

# المراة العباسية ونفوذها فى دار الخلافة

(١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٨م)

**د. طائف كمال الأزهرى**

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى

كلية الآداب جامعة حلوان



## المرأة العباسية ونفوذها في دار الخلافة

(١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٨م)

أن التاريخ السياسي والعسكري للدولة العباسية أصبح إلى حد كبير معروف للدارسين. أما التاريخ الاجتماعي والاقتصادي فهو مازال إلى كثير من الدارسين يحتاج إلى ثبر غوره، خاصة أن تفاصيل كثيرة فيه قد تغير وتتحدى مفاهيم ومعتقدات ثابتة من قبل. هذا البحث يحاول تناول وضع ونفوذ المرأة ورسومها في دار الخلافة العباسية في العصر الأول المتعارف عليه بالذهبي ورغم أنه حتى العصر الذهبي أو القرن الأول للخلافة العباسية والمقصود به عصر الازدهار الاقتصادي وقوة الخلفاء السياسية لم يكن كذلك إلى حد كبير، فعلى سبيل المثال فوض هارون الرشيد ٧٨٦/٨٠٩ كل صلاحياته إلى وزيره جعفر بن يحيى البرمكي حتى خاتم الحكم وهو الرمز الأخير للحاكم. أيضاً تلاعب الفضل بن الربيع بالأمن والفضل بن سهل بالمأمون، كل هذا بالإضافة إلى التمردات المستمرة في العالم الإسلامي مثل اندلاع ثورة البشمور أو خروج أجزاء من شمال أفريقيا كالأدراسة والأغالبة عن السلطة المركزية في العراق على سبيل المثال وليس الحصر وفقاً لصورة شاملة للعصر.

ورغم معرفتنا بالخيرزان وزبيدة، إلا أننا نغفل الكثير عن باقي الأميرات والجوارى والمؤسسات التابعة لهم أو التي تدور في فلكهم كالمغنيات والخصيان أو الطواشية وآثرهم السياسي والاجتماعي. فيكفي على سبيل المثال ما ذكره الثعالبي في كتابه تحفة الوزراء عن نفوذ إحدى جوارى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد التي أسرت إليه تفاصيل الوضع السياسي المتفاقم في بغداد والتي كتّمها عنه وزيره ذو الرياستين الفضل بن سهل، غالباً لغرض في نفسه. ويجب القول هنا أن المصادر لا تبوح بالكثير عن هذا

الجانب، حتى أن أسماء الزوجات وألقابهن والجواري تعتبر من الإسرار، فما بالنا بتحركاتهن وتفاصيل حياتهن خاصة وأن لم يفرد كتاب عن المرأة العباسية في عصرها الأول أو وصل إلينا. لذلك فهذا البحث غرضه استطلاع تأثير المرأة ودورها في دار الخلافة وكيفية عيشها والدوائر التي تتحرك فيها، رسومها وأحوال السيدات والوصيفات والخصيان المرتبطين بالحريم، رغم أهميتهن البالغة من الناحية السياسية وليس الخدمية.

### دار الحرم في دار الخلافة:

الحرم: النساء لرجل واحد وحريم الرجل: ما يدافع عنه ويحميه ولذلك سميت نساء الرجل: الحريم<sup>(١)</sup> ويقصد بحريم الخليفة: زوجاته وجواريه ومن تربطه بهن علاقة شرعية ولا ريب في أن أعدادهن كان كبيراً وأنهن من كل الأجناس فالرشيد مثلاً كان حريمه تشتمل على أكثر من ألفى جارية<sup>(٢)</sup> وفي المقابل فإن أبي العباس السفاح تزوج بأمر سلمة بنت يعقوب المخزومية قبل الخلافة ولم يتزوج عليها ولما تولى الخلافة ظل على وفائه لها حتى مات<sup>(٣)</sup> وقد حرص الخلفاء على إنشاء قصور ومباني تناسب نسائهم في شكلها وفخامتها وفي نفس الوقت تكون قريبة من دار الخلافة لا يفصلها عنها سوى ممر عليه ستارة حتى أن نساء الخلفاء كن يسمعن ما يدور من حديث داخل

---

(١) أبو العلي المحسن التنوحي: الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٠٥.

(٢) التنوحي: المصدر السابق، ص ١٠٤؛ عمر محمد سعيد موعد: نظم بلاط العباسيين ورسومه في بغداد (١٣٢-٦٥٦هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٢م، ص ١٤٧.

(٣) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٧٥.

مجلس الخليفة<sup>(١)</sup> وقد تكون دار الحرم جزء من دار الخلافة وليست مستقلة في بنائها<sup>(٢)</sup> وتسمى دار الحرم أو دار الحريم أو دار النساء<sup>(٣)</sup> والحقيقة أن المصادر الإسلامية<sup>(٤)</sup> لم تصف دار الحرم أو دار النساء في كيفية بنائها وعدد الغرف ولعل ذلك يعود إلى خصوصية هذه الدار والتي يمنع فيها دخول فحول الرجال سوى الخلفاء والخدم الخاص<sup>(٥)</sup> وذكر المسعودي<sup>(٦)</sup> أنها تتضمن مقاصير بعضها يخصص لضيوف دار الحرم وفيها من أفخر الأثاث مثل البساط الأرميني والنمارق الأرمينية كذلك تشتمل على تخوت وأسرة مرصعة بالذهب والفضة<sup>(٧)</sup> وكانت الجدران مزخرفة بعناصر من الرسومات الأدمية مثل الرقصات ورسومات حيوانية مثل الطيور وكذلك الزخارف النباتية<sup>(٨)</sup>.

(١) مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج ٣، بغداد، المثنى دت، ص ٢٨٨؛

أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق إبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٩١.

(٢) أبى الفلاح عبد الحى بن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج ١، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٣٣٧.

(٣) التنوحي: الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٢٠؛ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج ٤، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤٣١.

(٤) خاصة فى ما وقع تحت يد الباحث.

(٥) وهم الطواشيسة ويسمى الخصى، ويكون محبوباً. انظر أبى الحسين هلال بن المحسن الصابى: رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العائى، بغداد، ١٩٦٤م، ص ٧٨، ٨٧.

(٦) مروج الذهب: ج ٣، ص ٣٢٣.

(٧) عمر محمد سعيد: نظم بلاط العباسيين، ص ١٤٨.

(٨) سعيد عبد الفتاح عاشور وسعد زغلول عبد الحميد وآخرون: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٥١٦.

## رسوم الدخول على دار الحرم:

كما كان لدار الخلافة رسوم للإذن بالدخول على الخلفاء أيضاً كانت دور الحريم وضعت فيها رسوم الإذن بالدخول من النساء وغيرهم على دور الحرم فقد أمرت نساء الخلفاء تعيين خادم خاص يقف بباب الدار لمنع الدخول إلا بعد إذن نساء الخليفة فإذا أرادت امرأة الدخول يسألها الخادم عن اسمها وماذا تريد ثم يخبر بها نساء الخليفة فإن أذن لها أدخلت عليهم وكان لنساء الخليفة مجلس يشبه مجلس الخليفة حيث يتوسط المجلس زوجة الخليفة تجلس على بساط أرمني وحولها أمهات أولاد الخلفاء وبنات بنى هاشم يجلسن على نماذج أرمنى وأعلاهن مرتبة من تتقدمهن في العمر والقرابة من الخلفاء<sup>(١)</sup> وكان من الصعب دخول رجال غير الخلفاء وعقوبة من يفعل ذلك القتل<sup>(٢)</sup> لأنه يعد اعتداء على حرمة الخلفاء.

وفي سيرة الخيزران زوجة المهدي دلائل عديدة على أنها كانت تتدخل في الأمور السياسية وأن كلمتها مسموعة وانكشفت صلاحياتها في أيام ابنها الهادي حيث منع أن تتدخل في أمور الدولة ومنع الناس من الوقوف ببابها<sup>(٣)</sup> والشاهد أن نساء الخلفاء يستقبلن الناس ولعل ذلك يكون في قصور مستقلة أو قاعات مستقلة عن دار الحرم بحيث يسمح للرجال من غير الخلفاء دخول هذه

---

(١) هذا وصف لمجلس الخيزران في دارها، وكانت زينب بنت سليمان بن علي أعلى بنات هاشم مرتبة لأنها كبيرة في السن وقريبة النسب للخليفة. انظر المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٢) التتوحى: الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٢٠، ٢١.

(٣) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٨، الطبعة الثالثة، روائع التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢٠٦.

الأماكن المخصصة للاستقبال فقد كانت الخيزران تستقبل الوفود والموكب وتقضى حوائج الناس وتسال ابنها الخليفة قضاء هذه الحوائج<sup>(١)</sup>.

وبذلك تكون دار الحرم تنقسم إلى قسمين الأول: دار الحرم التي يجتمع فيها الخليفة بزوجاته وبناته وباقي نساء بني هاشم والتي لا يدخلها رجل غير الخلفاء.

**والقسم الثاني:** دار لاستقبال ضيوف نساء الخلفاء ويجتمع فيها الكتاب والموظفين الذين يكفون بأعمال خاصة بنساء الخلفاء ويكون الإذن في القسم الأول أكثر صرامة من القسم الثاني في منع دخول الرجال، أما القسم الثاني فإنه يسمح بدخول الرجال ممن يكون له حاجة إلى زوجة الخليفة أو لمن تطلبه بنفسها لحاجة تريد تنفيذها.

### موظفوا دار الحرم:

كان لكل جزء من أجزاء دار الخلافة موظفين مخصوصين يتم اختيارهم من قبل الخلفاء أو من يوكلهم الخلفاء لذلك ودار الحرم من أهم أجزاء دار الخلافة لذا فقد رتب لها الخلفاء عدداً من الموظفين وأعلى موظف في دار الحرم كانت وظيفة تفقد أمر حرم الخليفة<sup>(٢)</sup> ومنع دخول الرجال إلى الدار وتدبير الأمور في الدار وقفل أبواب الدار ليلاً<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٥.

(٢) تذكر بعض المراجع أن لقب هذا الموظف خازن دار الحرم ولكن هذا المسمى لم يظهر إلا في العصر العباسي الثاني خاصة على وجه التحديد. عمر محمد سعيد: نظم بلاط العباسيين، ص ١٥٠.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٨٦، عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول (التاريخ السياسي)، ج ١، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م، ص ٢٠٧.

وكان هذا الموظف موضع ثقة الخليفة لأنه ليس من السهولة تأمين أى  
موظف ليحمل مفاتيح دار حرم الخليفة.

ويأتى فى المرتبة الثانية موظف يدعى الكاتب أو الوكيل وهو مكلف  
بإيصال الرسائل إلى دار الحرم ويكلف بكتابة رسائل نساء الخليفة حيث كانت  
نساء الخلفاء وتخصص موظف خاص للكتابة فى ديوانها وتدير أملاكها  
وجباية إقطاعاتها وصرف نفقاتها<sup>(١)</sup>. وتتضمن المصادر مبالغاة كثيرة عن  
أرقام ودخل الإقطاعات لا مجال لمناقشتها فى هذا البحث.

ويحجب باب دار الحرم خادم وظيفته منع الدخول إلا بإذن نساء الخليفة<sup>(٢)</sup>  
ويكلف بالسؤال عن اسم طالب الإذن وحاجته ثم يعرضه على نساء الخليفة  
ويتم تحديد الإذن من قبلهن ومن موظفى دار الحرم أيضاً، الحرمي: وهو  
الخادم الخاص (الطواشى) والذى يعمل على خدمة نساء الخلفاء وينقل الأخبار  
إليهن ويقضى حوائجهن وغالباً ما يكون محبوباً وهم من عناصر متعددة مثل  
الفرس والترك والزنج والسودان<sup>(٣)</sup> ومن موظفى دار الحرم قاضى خاص

---

(١) أبى الفرج على بن الحسين بن محمد الأصفهاني: الأغاني، تحقيق عيد على مهنا،  
ج ٢٠، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣١٦-٣١٨؛ أبى  
الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق  
محمد عبد القادر، ومصطفى عبد القادر، ج ١٠، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،  
بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٧٧، تقى الدين محمد أحمد الفاسى: العقد الثمين فى تاريخ  
البلد الأمين، تحقيق محمود محمد الطناحى، ج ٨، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،  
١٩٦٩م، ص ٢٣٧.

(٢) المسعودى: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٨٦.

(٣) الصابنى: رسوم دار الخلافة، ص ٧٨؛ عمر محمد سعيد: نظم بلاط العباسيين، ص ١٥٠؛



يسمى: قاضى حريم دار الخلافة ويكلف بفصل المنازعات والمشاكل بين من يسكن هذه الدار<sup>(١)</sup>.

وكانت دار الحريم تضم الجوارى بالمئات وهن يقمن على خدمة نساء الخلفاء وتنفيذ أوامرهن وكذلك يخدمن الخلفاء ويلببن جميع احتياجاتهن وهذه الفئة أكثر عدداً من باقى موظفى دار الحريم.

## ثانياً: أمهات الخلفاء وأصولهن

### أمهات الخلفاء:

كان للمرأة شأن عظيم فى العصر العباسى الأول فقد كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية وكان لهن أثر بالغ فى الحياة السياسية وخاصة أمهات الخلفاء وزوجاتهم حيث كان أصل الأم يؤثر فى تقدم ابنها لمنصب الخلافة فالمنصور وعلى الرغم من أنه كان أكبر سناً من أخيه السفاح إلا أنه وبسبب أن أمه أم ولد بربرية فقد قدم عليه السفاح لأن أمه عربية حارثية<sup>(٢)</sup> كذلك فإن المأمون كان أكبر سناً من الأمين ويتمتع بكفاءة وعلم تؤهله لمنصب الخلافة إلا أن أم المأمون كانت أم ولد فارسية لذا قدم عليه الأمين لأن أمة عربية هاشمية<sup>(٣)</sup>.

---

(١) عمر محمد سعيد: المرجع السابق، ص ١٥١؛ طائف كمال الأزهرى: نفوذ الطواشية فى دولة الزنكيين (٥٢١-٥٧٧هـ/ ١١٢٧-١١٨١م) "دراسة استقصائية"، بحث منشور فى مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، عدد يناير ٢٠٠٨، ص ٢٢٧-٢٣٠.

(٢) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣٤٩، ٣٦٤؛ ابن الجوزى: المنتظم، ج ٧، ص ٢٩٨.

(٣) اليعقوبى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٣-٤٤٤؛ ابن الجوزى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣، ص ٣٩٦؛ محمد على بن العمرانى: الأبناء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق

هذا ولم تكن جميع أمهات الخلفاء من الحرائر العربيات إنما كانت أصولهم متعددة<sup>(\*)</sup> فقد كانت الإماء يجلبن من أسواق النخاسة من جميع البلاد إلى بغداد فمنهن الروميات والحبشيات والفارسيات والعربيات ومن مولدات المدينة والطائف والكوفة<sup>(١)</sup> وليس في خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر إلا السفاح أمه ريطة بنت الحارث، والمهدى أمه أروى بنت منصور والأمين أمه زبيدة بنت جعفر فأما الباقي فأمهاتهن إماء<sup>(٢)</sup>.

وكانت بعض أمهات الخلفاء تلقب بالسيدة خاصة من كان لها شأن عظيم مثل الخيزران والدة الهادي والرشيد وزبيدة والدة الأمين<sup>(٣)</sup> وكانت تُبنى لهن عديد من القصور والدور والأروقة.

## جدول رقم (١)

### أسماء أمهات الخلفاء وأصولهن

الخليفة	اسم الام	أصلها
السفاح	ريطة بنت عبید الله	حارثية عربية

قاسم السامرائي، الطبعة الثانية، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م، ص ٧٦؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي: النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٨٤.

(\*) انظر الجدول رقم (١).

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٢، الطبعة الرابعة عشر، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٥٣.

(٢) أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي: لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم بن يار، وحسن كامل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٢٥.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٨، ص ٢٣٦.

المنصور	سلامة بنت بشير	أم ولد بربرية
المهدى	أروى بنت منصور	حميرية يمنية
الهادى	الخيزران بنت عطاء	أم ولد جرشية يمنية
الرشيد	الخيزران بنت عطاء	أم ولد جرشية يمنية
الأمين	أمة العزيز (زبيدة)	هاشمية عربية
المأمون	بنت جعفر	أم ولد فارسية من باذ عيسى
المعتصم	مراجل ماورد	أم ولد تركية
الواثق	قراطيس	أم ولد رومية

وقد كانت مكانة أمهات الخلفاء أعلى مرتبة من زوجاتهن والدليل على هذا النفوذ السياسى لهن أثناء حكم أبنائهن<sup>(١)</sup> وسنحاول التعرف على والدة كل خليفة من خلفاء العصر العباسى الأول.

### ١- والدة أبو العباس السفاح:

كان بنو أمية يمنعون بنى هاشم من نكاح الحارثيات للخبر المروى وهو أن الخلافة ستكون لابن الحارثية وفى عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز استأذنه محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى أن يتزوج من ابنة خاله من

(١) أبى الفرج غريغوريوس بن هارون بن العبرى: تاريخ مختصر الدول، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١١٣؛ ابن تعزى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢١٤؛ عمر محمد سعيد: نظم بلاط العباسيين ورسومه، ص ١٤٨.

بنى الحارث فولدت عبد الله بن محمد عبد الماد بن الريان بن الحارث فولدت  
بن محمد أول خليفة عباسي<sup>(١)</sup>.

وكانت ريطة قد تزوجت عبد الملك بن مروان وأنجبت منه الحجاج فلما  
توفى عبد الملك تزوجها محمد بن علي فأنجبت منه إضافة إلى السفاح عبيد  
الله وداود وميمونة<sup>(٢)</sup> وقد ولد السفاح عام ١٠٥هـ/٧٢٣م في الحميمة من  
أرض الشراه<sup>(٣)</sup> في بلقاء الشام وتوفى عام ١٣٦هـ/٨٥٣م في مدينة الأنبار<sup>(٤)</sup>  
ولأن والد السفاح عربية لذا قدم في الخلافة على أخيه المنصور على الرغم  
من أن المنصور كان أكبر منه سناً<sup>(٥)</sup>.

## ٢- والدة أبو جعفر المنصور:

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٤٩؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٣،  
ص ٢٦٦؛ شهاب الدين أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق خليل شرف الدين،  
ج ٥، الطبعة الأولى، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٧١؛ أبي العباس  
شمس الدين أحمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان  
عباس، ج ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) المسعودي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٣) الشراه: أرض جبلية بين دمشق والمدينة ومن بعد نواحيه القرية المعروفة  
بالحميمة وكان يسكنها أبناء علي بن عبد الله بن عباس. أبو عبد الله ياقوت بن  
عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٣، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م،  
ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٤) أبي الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللانقي ومحمد

غازي، ج ١٠، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص ٤٧٤.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٤٩.

ولد المنصور عام ٩٥هـ/٧١٣م فى أرض الشراة<sup>(١)</sup> وأمه أم ولد<sup>(٢)</sup> اسمها سلامة بنت بشير وأصلها بربرية<sup>(٣)</sup>.

ونكر عن سلامة أنها قالت "رأيت لما حملت بأبى جعفر كأن أسداً خرج منى فاقعى وزأر وضرب بذببه فأقبلت إليه الأيد من كل ناحية فكلما انتهى إليه أسد منها سجد له<sup>(٤)</sup> ولأن أم المنصور ليست حرة عربية الأصل لذا تأخر المنصور فى الخلافة بعد السفاح على الرغم من أنه أكبر من السفاح بعشر سنوات وتوفى المنصور عام ١٥٨هـ/٧٧٤م ودفن بمكة مكشوف الوجه لأنه كان محرماً<sup>(٥)</sup>.

### ٣- والدة المهدي:

(١) ذكر ابن العمرانى فى الأنباء ص ٦٢ أن المنصور ولد فى بايزج من أعمال خوزستان لأن أباه كان قد قصد عبد الله بن معاوية والى أصفهان ومعه سلامة فولدت المنصور هناك.

(٢) أم ولد: لفظ مركب تداوله السنة الناس منذ العصر الجاهلى واستمر بعد الإسلام ويقصد به السبية من النساء، إذا تزوجها المقاتل. عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب، دار صادر، بيروت، ص ٤٢، ٤٣.

(٣) اليعقوبى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٤؛ المسعودى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩٤؛ مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢١٥.

(٤) المسعودى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩٥؛ ابن الجوزى: المنتظم، ج ٧، ص ٣٣٤.

(٥) المسعودى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٢٤؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٧١.

أم المهدي هي أم موسى أروى بنت منصور بن عبد الله بن ذى سهم بن أبي السرح من ولد ذى رعين من ملوك حمير<sup>(١)</sup> وكان مولده عام ١٢٧هـ/٧٤٤م وتوفي في ماه سبذآن في جرجان عام ١٦٩هـ/٧٨٥م<sup>(٢)</sup> والمهدي هو آخر ثلاثة خلفاء في العصر العباسي الأول ممن أمهاتهم عربيات أحرار<sup>(٣)</sup>.

وكان المنصور قد شرط لها ألا يتزوج عليها ولا تيسرى وكتبت عليه بذلك شرطاً كتاباً وأشهدت عليه شهوداً فبقى عليه المنصور عشر سنين وكان يرسل للفقهاء لطلب رخصة فإذا علمت أم موسى أرسلت إليهم بمال فلا يفتونه بشئ فلما ماتت أهديت إلى المنصور تلك الليلة مائة بكر<sup>(٤)</sup>.

---

(١) اليعقوبي: المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٩٢؛ جمال الدين أبي الحسن علي ظافر بن الحسين الأثرى: أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق محمد مسفر الزهراني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٨م، ص ١١٢؛ أبو العباسي أحمد بن علي القلقشندي: مآثر الأئمة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار، أحمد فرج، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، ص ١٨٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٠٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٧٦.

(٣) والآخران هما السفاح والأمين.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٣٣٦.

#### ٤ - والدة الهادي والرشيد:

لم تلد امرأة خليفتين<sup>(١)</sup> سوى الخيزران<sup>(٢)</sup> بنت عطاء وهي أمه لسلمة بن سعيد اشتراها من قوم قدموا من جرش<sup>(٣)</sup> ولما عرضت على المهدي قال لها (والله يا جارية أنك لعلى غاية المنى والجمال لولا دقة ساقيك وخموشها<sup>(٤)</sup>) فقالت: يا مولانا أنك أحوج ما تكون إليها لا تراهما فاستحسن جوابها وقال اشتروها<sup>(٥)</sup> وقد حظيت عنده جداً ثم أعتقها وتزوجها فولدت له خليفتين الهادي والرشيد<sup>(٦)</sup>.

(١) فى العصر العباسى وقبل العصر العباسى كانت ولادة بنت العباس تزوجت عبد الملك بن مروان فولدت الوليد وسليمان وكلاهما تولى الخلافة كذلك شاه أفريد بنت فيروز بن يزدجر تزوجها الوليد بن عبد الملك فولدت له يزيد وإبراهيم. الفاسى: العقد الثمين، ج ٨، ص ٢١٤، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٨٠.

(٢) ذكر اليعقوبى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٤، اسمها مضافاً إليه تاء مربوطة الخيزرانة.  
(٣) جرش: تقع باليمن وهي من البلاد التى كان أهلها قد اتخذوا الأصنام بعد دين إسماعيل وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم. محمد بن عبد المنعم الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م، ص ١٥٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد/ ج ١، ص ١٠٢؛ عز الدين على بن محمد بن أبى بكر بن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٦، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٠٦.

(٤) خمش وجهة: خدشة ولظمة وضربة وقطع عضواً منه والخامشة مسيل الماء الصغير. محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى: القاموس المحيط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧٦٥.

(٥) ابن الجوزى: المنظم، ج ٧، ص ٣٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٨٩.

(٦) ابن الجوزى: المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٥٠، ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٥٩٣.

وقد لقبها القلقشندي<sup>(١)</sup> بأَم الخلفاء لهذا السبب توفيت الخيزران في خلافة الرشيد عام ١٧٣هـ/٧٨٩م وقد صلى عليها الرشيد ودخل قبرها<sup>(٢)</sup> وكان لها مآثر عظيمة في مكة حيث أنها جعلت الموضع الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً<sup>(٣)</sup>.

وكان مولد الهادي عام ١٤٤هـ/٧٦١م بالرى وتوفى في عيسا باذ عام ١٧٠هـ/٧٦٨م وأما الرشيد فكان مولده بالرى عام ١٤٥هـ/٧٦٢م وتوفى في طوس إحدى مدن خراسان عام ١٩٣هـ/٨٠٨م<sup>(٤)</sup> ومع اتقاق معظم المصادر الإسلامية على أن أم الرشيد هي الخيزران وأنها توفيت في خلافته إلا أن المؤرخان ابن قتيبة<sup>(٥)</sup> وبن عبد ربه<sup>(٦)</sup> يرويان إحدائاً مخالفة لذلك وهي أن الرشيد قد توفيت أمه وربته في حجرها ولعل الأخير نقل من الأول إلا أن هذه الرواية شاذة وغريبة والصحيح فيها فقط هو أن فاطمة زوجة يحيى بن خالد قد أرضعت الرشيد مع ابنها الفضل، ويتضح هنا صعوبة متابعة أخبار التاريخ الإسلامي عامة والعباسي خاصة.

(١) القلقشندي: مآثر الخلافة، ص ١٨٩.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٤٦؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٨٠.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٨، ص ٢١٤.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٣١٣، ٣٤٤؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٣،

ص ٣٣٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠٦.

(٥) أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الإمامة والسياسة، تحقيق خليل منصور،

ج ٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٣٤٠.

(٦) العقد الفريد، ج ٥، ص ٣٩.



## ٥- والدة الأمين:

لم يل الخلافة هاشمي ابن هاشمية سوى على بن أبي طالب وابنه الحسن رضى الله عنهما، الأمين فأمه أم جعفر أمه العزيز<sup>(١)</sup> بنت جعفر بن المنصور ولقبها جدها المنصور زبيدة لأنه كان يحبها أو قد كانت بيضاء سمية فى صغرها فكان المنصور يرقصها ويقول لها يا زبيدة يا زبيدة فغلب عليها هذا اللقب<sup>(٢)</sup> وقد ولت الأمين بالرصافة عام ١٧٠هـ/٧٨٦م وقتل فى بغداد عام ١٩٨هـ/٨١٣م<sup>(٣)</sup>.

وكانت زبيدة من سادات نساء قریش ومن أعظم نساء عصرها ديناً وأصلاً وجمالاً وصيانة ومعروفاً تزوجها الرشيد عام ١٦٥هـ/٧٨١م فى حياة أبيه المهدي<sup>(٤)</sup> وكانت عنايتها عظيمة بإجراء المال إلى مكة وصرفت على ذلك أموالاً طائلة وأثار عمارتها باقية إلى الآن<sup>(٥)</sup>. وكان فى قصرها مائة

- 
- (١) الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٤٨. وقد ذكر الأزدى أن اسمها أمة الواحد.
- (٢) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٤٣٣، الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ٢٤١؛ ابن العمري: الأنباء، ص ٧٦؛ أبو الخطاب عمر بن حسن بن أبي البسام بن دحية النبراس فى تاريخ بنى العباس، تحقيق عباس العزاوى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م، ص ٤٣؛ جلال الدين السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمود رياض الحلبى، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٦٨٩، ٦٩٠.
- (٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٤٩٩؛ المسعودى: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٩٦؛ ابن دحية، المصدر السابق، ص ٤٣.
- (٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٥٦.
- (٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣١٤؛ الفاسى: العقد الثمين، ج ٨، ص ٢٣٦.

جارية يقرآن القرآن حيث يسمع من قصرها دوي كروي النحل من قراءة القرآن<sup>(١)</sup>.

واستمرت زبيدة فى مكانة مرموقة أيام زوجها الرشيد ثم فى أيام ابنها الأمين كذلك كانت موضع تقدير واحترام ابن زوجها المأمون فأصبح كالابن لها بعد مقتل ابنها الأمين<sup>(٢)</sup>. مع ما فى ذلك من مبالغة ابن الجوزى، لأن المأمون كان شديد العنف فى حصاره لأبنها الأمين فى بغداد.

وقد قدم الأمين فى الخلافة على أخيه المأمون لأن أمه زبيدة ابنة عم الرشيد عربية هاشمية رغم أن المأمون أكبر سناً بستة أشهر<sup>(٣)</sup> وتوفيت زبيدة عام ٢١٦هـ/٨٣١م فى بغداد<sup>(٤)</sup>.

## ٦- والدة المأمون:

أم المأمون أم ولد فارسية اسمها مراحل وأصلها من باذ غيس<sup>(٥)</sup> كانت تعمل طبخة فى قصر الرشيد وقد أهداها له على بن عيسى بن ماهان ماتت

---

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٤؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢١٤.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ١٢٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٢٦؛ ابن تغري بردى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٥. وقد تعرضت زبيدة للإهانة وربما للضرب على أيدي جنود ظاهر بن الحسين قائد المأمون أثناء حصار بغداد. راجع ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٧٣.

(٣) ابن العبراني: الأنبياء، ص ٧٦.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣١٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٧١٣.

(٥) باذ غيس: منطقة تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروز. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٨.

فى ولادتها للمأمون عام ١٧٠هـ/٧٨٦م فى بغداد<sup>(١)</sup> فتركته وهو طفل صغير وكلف الرشيد سعيد الجوهري بتربيته فأرضعته زوجته كما كانت زبيدة أم الأمين تهتم بتربيته أيضاً<sup>(٢)</sup> ولأن أم المأمون أم ولد لذا فقد أخرج فى الخلافة مع أنه أكبر سناً فقدم عليه الأمين لأن أمه حرة عربية<sup>(٣)</sup> وتوفى المأمون فى طرسوس<sup>(٤)</sup> عام ٢١٨هـ/٨٣٣م.

## ٧- والدة المعتصم:

أم المعتصم أم ولد من مولدات<sup>(٥)</sup> الكوفة اسمها ماردة وقيل مارية بنت شبيب<sup>(٦)</sup> وهذا أحد الأمثلة الشائعة على تضارب الألقاب وصعوبة الوصول حتى إلى أبسط التفاصيل والمعلومات عن المرأة العباسية أمها صغدية<sup>(٧)</sup>

(١) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٤٤٤، المسعودى: مروج الذهب، ج ٤، ص ٤، مجهول: العيون والحدائق ج ٣، ص ٣٤٤، ابن العرمانى: الأنباء ص ٩٦.

(٢) ابن العرمانى: المصدر السابق، ص ٩٦، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٢٥، E.I.2., Art, Zobydah, by R.J.

(٣) ابن العرمانى: المصدر السابق، ص ٩٦.

(٤) طرسوس: إحدى مدن الثغور الشامية تقع بين حلب وأنطاكية وبلاد الروم. ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٨.

(٥) المولد هو العربى غير المخض ولد عند العرب وتنشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم فأصبح مولد وليس عربى صريح انظر مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات، ص ٤١٤.

(٦) اليعقوبى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧١؛ المسعودى: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٦، ابن العرمانى: المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٧) الصغد: اسم للوادي والنهر الذى تشرب منه القرى ما بين سمرقند وبخارى وهذا الوادى مبدؤه من جبال التم فى بلاد الترك والصغد أيضاً كورة عجيبة فى سمرقند وهى إحدى جنان الدنيا الأربع. ياقوت: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٩.

وأبوها نشأ في البندنيجين<sup>(١)</sup> وكانت من أحظى الناس عند الرشيد وقد ولد المعتصم بالرافقة عام ١٧٨هـ/٧٩٤م وتوفي في سامراء عام ٢٢٧هـ/٨٤١م ودفن في قصره الجوسق.

ولقد ظهر في حياة المعتصم دلالات تأثره بأصل والدته والذي يعود إلى العنصر التركي منها ميله إلى الجند الأتراك وتقديمه لآلاف منهم حتى اكتظت بهم أسواق بغداد فاضطر لإنشاء مدينة لهم وهي سامراء كما أنه وضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالدرر وهو أول خليفة يتوج<sup>(٢)</sup>.

### ٨- والدة الواثق:

أم الواثق أم ولد اسمها قراطيس وذكر أن أصلها رومية<sup>(٣)</sup> ولم يرد ذكر لها في بلاد الروم، أدركت خلافة الواثق<sup>(٤)</sup> وقد توفيت عام ٢٢٧هـ/٨٤٧م وهي في طريقها للحج ودفنت بالكوفة<sup>(٥)</sup> وكان مولد الواثق بطريق مكة عام ١٩٦هـ/٨١١م وتوفي عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م بسامراء ودفن في قصره الهاروني<sup>(٦)</sup>. من كل هذه التفاصيل، يتضح أن العصر الذهبي والمفترض أنه يتميز بتأثير عنصره العربي قبيل العنصر الثاني وهو الأتراك، ونجد أن

(١) البندنيجين بلدة مشهورة في طريق النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد.

ياقوت: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٩.

(٢) ابن العراني: الأنباء، ص ١٠٤.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٧٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ٦٥؛

ابن العراني: المصدر السابق، ص ١١١، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٥٢٨.

(٤) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط،

وكامل الخراط، ج ١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٣٠٦، ج ٤، ص ٦٥.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١١، ص ١٢٦.

(٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٩، ص ١٥١؛ المسعودي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٥.

أمهات وزوجات الخلفاء كان أغلبهن من الفرس والعالم التابع ما وراء نهر  
الأموداريا، مما لا شك قد أضفى تأثير فارسي أو صبغة فارسية على الخلافة  
والخلفاء لتكرار النماذج، عكس حالة فردية كالمملكة أروى الخليجية في اليمن  
٥٣٣هـ/١١٣٨م على سبيل المثال.

## مظاهر النفوذ السياسي لبعض أمهات الخلفاء

عرفت نساء الخلفاء العباسيين بشكل عام بقوة الشخصية منذ نشأة الدولة  
فكان أبو العباس لا يقطع أمراً بدون مشورة زوجته أم سلمة أما زوجة  
المنصور فقد اشترطت عليه ألا يتزوج عليها ووفى لها<sup>(١)</sup>.

ولم يكن لأمهات الخلفاء سواء من الحرائر أو أمهات الأولاد دور سياسي  
واضح سوى لشخصيتين قويتين هما الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي  
والرشيد وزبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين وكانت الأولى أم ولد الثانية عربية  
هاشمية وسنتناول دورهن السياسي بشئ من التوضيح.

### الدور السياسي للخيزران:

لقد لعبت الخيزران دوراً هاماً في السياسة وكان لها أثر بارز في بلاط  
زوجها المهدي فكان لها الأمر والنهي والوفود تأتي إلى قصرها أحياناً قبل أن  
تذهب للخليفة نفسه<sup>(٢)</sup> ولدورها السياسي مظاهر عديدة تجلت في ثلاثة محاور:

(١) عبد المنعم ماجد: ج ١، ص ١٥٦.

(٢) محمد بن علي بن الطقطقي: تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت،  
ص ١٩١؛ عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٦. ويذكر ماجد أن  
الخيزران كانت متعصبة للعجم لأن أصلها غير عربي وهذا أدى إلى زيادة نفوذ العجم  
في عهد المهدي ولكن الباحث يرى أن ظهور العجم وخاصة البرامكة وزيادة  
نفوذهم كان في أوائل عهد الرشيد ووضح كثيراً من عهد والدة المهدي.

## أولاً: في عهد زوجها الخليفة المهدي:

والذي عين ابنه موسى الهادي ولياً لعهدده وفي أواخر أيامه فكر في العدول عن هذا العهد وهم أن يرشح هارون للخلافة بعده مباشرة وكانت هذه الفكرة بتشجيع من الخيزران لأنها كانت تحب هارون وتؤثره على أخيه الهادي إلا أن المنية حالت دون تحقيق المهدي لهذه الرغبة<sup>(١)</sup> ولما توفي المهدي عقدت الخيزران اجتماعاً في بغداد ضم كلاً من الربيع بن يونس وزير المهدي ويحيى بن خالد البرمكي لتشاورها في أمر الخلافة وقد امتنع يحيى بن خالد عن الحضور لعلمه المسبق بغيره الهادي<sup>(٢)</sup> وتقرر بعد الاجتماع إعطاء الجند راتب سنتين لتهدئتهم بعد سماعهم خبر وفاة المهدي والبيعة للهادي خليفة ولهارون ولياً للعهد<sup>(٣)</sup> وبهذا تكون الخيزران قد ساهمت في استقرار وضع العاصمة لحين وصول الخليفة الجديد.

## ثانياً: اصطدام نفوذ الخيزران بغيره الهادي وأثره سلباً على حكم وحياة الهادي

لقد كان الهادي كثير الطاعة لأمه ويجيبها فيما تطلبه من حوائج للناس حتى مضت أربعة أشهر من خلافته فطمع الناس في شفاعته الخيزران فازدادت الوفود عليها كما أنها كانت تستبد ببعض الأمور دون الرجوع للهادي<sup>(٤)</sup> إلا أن ذلك الوضع لم يستمر طويلاً خاصة مع غيرته الهادي الشديدة

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٨٨.

(٣) فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج ١، الطبعة الأولى، دار الشروق، الأردن، ١٩٩٨م، ص ٨٨.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٣٧؛ إبراهيم بن محمد البيهقي: المحاسن والمساوي، تحقيق محمد سويد، الطبعة الثانية، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٥م،

على محارمه فعندما كلمته والدته يوماً في حاجة تطلبها منه لصالح عبد الله بن مالك<sup>(١)</sup> تعلل بعله ما فأصرت عليها فرفض قضاء الحاجة فقالت "إذا والله لا أسألك حاجة أبداً قال: إذا والله لا أبالي فقامت مغضبة فقال الهادي: مكانك تستوعبي كلامي والله وآلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصيتي أو خمي لأضربن عنقه ولا أقبض ماله فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم".

أمالك مغزل يشغلك أو مصحف ينكرك أو بيت يصونك إياك ثم إياك ما فتحت بابك لملي أو لنمي<sup>(٢)</sup> فانصرفت وهي في حالة شديدة من الغضب حتى أنها لا تعقل ما تطأ وبعد هذا الموقف لم تتطرق الخيزران عند الهادي بأية كلمة حسنة أو سيئة<sup>(٣)</sup>.

وإن صح هذا الحوار الذي دار بين الخليفة فإنه يمكن أن يفسر من جانب الهادي أنه كان معروفاً بشدة غيرته على أمه والدليل على ذلك أنه بعد هذا الحوار هدد قواده وأصحابه بقوله "أيكم يحب أن يتحدث الرجال يخبر أمه فيقال مغلّت أم فلان وصنعت أم فلان قالوا لا نحب ذلك فقال فما بالكم تآتون

---

ص ٦١٤، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١١٣؛ عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٣، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٢٦.

(١) عبد الله بن مالك الخزاعي: أحد المقربين إلى الرشيد وقد عمل قائد للشرطة في عهده. انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٠٩.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٠٥، ٢٠٦؛ ابن العبري: المصدر السابق، ص ١١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٤٤.

(٣) الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٦؛ البيهقي: المصدر السابق، ص ٦١٤، ٦١٥.

أمى فتتحدثون بحديثها" فلم يعد أحد يقف بباب الخيزران<sup>(١)</sup> كذلك عندما مرض الهادي استدعاها وحدثها بحديث يبرهن على أنه كان مدفوعاً بدافع الغيرة فمن حديثه لها قوله (وقد كنت أمرتك بأشياء ونهيتك عن أخرى مما أوجبتة سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك ولم أكن بها عاقفاً بل كنت لك صائناً وبراً وأصلاً...) (٢) فهذا الحديث تتبع منه دلالات الندم والحسرة عما قاله لها فى موقفه السالف الذكر وهو يبرر موقفه بأنه ما يريد إلا صيانة والدته والحفاظ عليها من التبذل وكثرة دخول الناس عليها.

وأما بالنسبة لوقع أثر ذلك الموقف على الخيزران فكان شديداً حيث أنها لم تحتمل من ابنها هذه الشدة والقسوة خاصة وأنها اعتادت على الحظوة وعلو المنزلة فى عهد زوجها المهدي لذا كانت ردة فعلها المباشر هو خروجها من عند الهادي وهي لا تعقل ما تطأ كما أنها أقسمت بألا تكلمه<sup>(٣)</sup>.

كما أن ذلك الحوار أثار حفيظة الخيزران وكرهيتها لابنها فأضمرت له السوء وكان لذلك الحوار نتائجه فانقطع الناس عن سؤال الخيزران والتردد على قصرها مما حدا ببعض المؤرخين إلى القول أن الهادي بعث لأمه طعاماً مسموماً لكنها لم تأكل منه<sup>(٤)</sup> وأن صح ذلك إلا أننا نأخذ بما ذهب إليه معظم المؤرخون فى أن وفاة الهادي كان من تدبير أمه<sup>(٥)</sup> على أنه مما يلفت النظر أن هذا العداء قد ظل مستمراً حتى يوم وفاته ومن الأسباب التى دفعت

---

(١) محمد بن على بن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة

الموسوعات، القاهرة، ١٨٩٩م، ص ١٧٣؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٢) المسعودى: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٤٣.

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٢٠٧.

(٤) ابن العمراتى: الأنباء، ص ٧٣؛ ابن الطقطقى: تاريخ الدول الإسلامية، ص ١٩١.

(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٤.



الخيزران إلى تدبير قتل ابنها إضافة إلى تقليص سلطتها ومنع الوفود الوصول إليها وفس السم فى طعامها هو سعي الهادي إلى خلع هارون الرشيد من ولاية العهد ومبايعة ابنه الصغير جعفر (الناطق بالحق) ولأن الخيزران تحب هارون وتفضله على الهادي خافت عليه<sup>(١)</sup> وربما أنها كانت تطمع فى استعادت كيانها السياسي الذي فقدته فى عهد الهادي وقد تطور الأمر لذي الهادي حتى أنه حاول قتل أخيه هارون لاعتقاده بأنه يتآمر ضده ليحصل على الخلافة<sup>(٢)</sup>.

ذكر العديد من الروايات فى طريقة مقتل الهادي<sup>(٣)</sup> فذكر الطبرى<sup>(٤)</sup> أن الخيزران أرسلت إليه جواربها عندما مرض فجلسن على وجهه إلى أن كتمن أنفاسه فمات وذكر الذهبي<sup>(٥)</sup> أنها وضعت السم فى طعامه. وفيما يتعلق برواية الطبرى، نجد أنه من المعقول أن تفعل الجوارى ذلك فى غياب الحراس والحجاب، فيما رواية الذهبي أكثر تقبلاً.

إن الروايات التاريخية والتي تشير إلى العلاقات المتوترة بين الخيزران وابنها الأكبر الهادي كلها تشير بأصابع الاتهام وتوضح الدور الخطير

---

(١) الطبرى: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٧؛ ابن العرمانى: المصدر السابق، ص ٧٣؛

ابن الطقطقى: تاريخ الدول الإسلامية، ص ١٩١.

(٢) التنوحى: الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ١٩. وذكر أن الهادي فى الليلة التى مات فيها

استدعى القائد هرثمة بن اعين وأمره بقتل هارون، شمس الدين محمد بن عثمان

الذهبي: العبر فى خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، ج ١، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٩٩.

(٣) وردت فى موته عدة روايات ذكرها السيوطى تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٢٠٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٩٩.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٤٤.

للخيزران في الموت المفاجئ وغير الطبيعي للخليفة الذي لم يبلغ من العمر سوى ستة وعشرين سنة ولم يحكم سوى أربعة عشر شهراً<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: الدور السياسي للخيزران في عهد الرشيد:

عندما توفي الهادي استدعت الخيزران القائد هرثمة بن أعين فأخبرته بذلك ليتم مبايعة هارون كما استدعت يحيى بن خالد والذي أصبح وزير لهارون الرشيد والمتصرف في الأمور واما الخيزران<sup>(٢)</sup> فقد أصبحت هي الناظرة في الأمور ولم يكن هارون الرشيد يتصرف بالأمور خلال الثلاث سنوات الأولى من حكمه تاركاً التصرف فيها لوزيره يحيى بن خالد ووالدته الخيزران. رغم تأثر ابن خلدون بكتابات الطبري، إلا أن أياً من المصادر يخلو من تفاصيل هذه السنوات كما تخبرنا المصادر الأخرى عن سيطرة ست الملك في عهد الفاطميين على سبيل المثال.

خاصة وأن يحيى له فضل كبير على هارون فقد كان مربياً له وأباً من الرضاة كما أنه دافع عن هارون أيام الهادي عندما حاول خلعه ولذا فقد أعطاه خاتم الخلافة<sup>(٣)</sup> لتصرف شئون الدولة والتوقيع على الفترات والأوامر بالتأود مع الخيزران ولكن بموت الخيزران عام ١٧٣هـ/٧٨٩م تبدل الوضع وقد اعترف الرشيد بذلك فعندما دفن والدته قال الفضل بن الربيع وحق المهدي وكان لا يحلف لها إلا إذا اجتهد أني لاهتم لك من الدليل بالشئ من التولية وغيرها فتمنعني أمي فأطيع أمرها فخذ الخاتم من جعفر<sup>(٤)</sup> ولم يكن

(١) فاروق عمر: الخلافة العباسية، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) التنوحي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٤٨.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٢٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١١٩.

ليجرو الرشيد أن يغير وزيره في حياة والدته إنما كان ذلك بعد وفاتها لقوة شخصيتها وسطوتها وضعف إرادة هارون أمامها وربما يعود ذلك لغلبة الوازع الديني على هارون.

### الدور السياسي لزبيدة:

لقد تركت زبيدة تاريخاً حافلاً كأعظم ما يكون لأهم سيدات العصر العباسي وكان لها أثراً حميداً في سيرة الرشيد وفي شفاعتها الحسنة في بعض القضايا<sup>(١)</sup> ولتأثيرها على الرشيد قدم ابنها الأمين في ولاية العهد على المأمون<sup>(٢)</sup>.

وقد وصفت بأنها عاقلة مدبرة فصيحة لبيبة واعتبرت أقوى النساء في العصر العباسي اللاتي كن لهن دور بارز في السياسة والسيطرة على الأمور والفرق بينها وبين الخيزران إن أعمالها كانت ظاهرة<sup>(٣)</sup> وفي عهد الأمين حظيت بنفوذ وكيان سياسي واضح فقد كانت الوفود تستقبلها وعلى رأسهم الخليفة ابنها عندما كانت تقدم من خارج بغداد<sup>(٤)</sup> وكانت زبيدة تحكم عقلها أكثر مما تحكم قلبها وعواطفها في أصعب المواقف فعندما اشتعلت الفتنة بين ابنها الأمين وابن زوجها المأمون وأرسل الأمين جيشاً للقبض على المأمون أثبتت أنها أحكم رأياً من ابنها عندما أوصت قائد الجيش على بن عيسى بن

---

(١) حاولت زبيدة أن تشفع ليحيى البرمكي بعد سجنه انظر ابن قتيبة: الإمامة السياسة، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٢) ابن العبراني: الأنبياء، ص ٧٦.

(٣) وردة معلومة غريبة وهي أن الخيزران هي خالة زبيدة، وأن أم زبيدة تدعى سلسال ولم أعر في المصادر التي بين يدي عن أصل لهذه المعلومة وقد ذكرت أيضاً:

E.I.2; Art, Zobydah, by R.J..

(٤) عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ج ١، ص ٢٠٥.

ماهان بحسن معاملة المأمون وعدم إهانته ودفعت له قيداً من فضة وقالت (إن استعصى عليك في الخصوص فقيدة بهذا القيد)<sup>(١)</sup> وأيضاً موقفها عندما دخل المأمون فلم تتساق وراء عواطفها<sup>(٢)</sup> بل أنها تعاملت مع المأمون بكل احترام وإجلال وقد وصف لها ابن الجوزي<sup>(٣)</sup> موقفها عندما دخل المأمون بغداد بقوله (لما دخل المأمون بغداد دخلت عليه زبيدة أم جعفر فقالت الحمد لله الذي لقبك بخلافة قد هنتت بها عنك قبل أن أراك ولئن كنت فقدت ابناً خليفة لقد اعتضت ابناً خليفة وما خسرت من اعتاض مثلك وما نكلت أم ملأت يدها منك وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذوا وإمتاعاً بما وهب) فعلى الرغم من أن المأمون كان سبباً في مقتل ابنها إلا أنها تحكمت في عواطفها ويبد أن ابن الجوزي يبالغ في رباطة جأش زبيدة بعد التمثيل بابنها وطواف رأسه في معسكر المأمون بعد اجتياح بغداد.

### نفقات أمهات الخلفاء:

لم تفصل المصادر الإسلامية في نفقات أمهات الخلفاء سوى الخيزران أم الهادي والرشيد وزبيدة أم الأمين لما كان لهما من مكانة وشهرة واسعة في التاريخ العباسي فبالنسبة إلى الخيزران فقد رأت واردات في السنة ألف ألف وستين ألفاً درهم<sup>(٤)</sup> وكانت تتفقه في الصدقات وأبواب البر

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٢٩.

(٢) وهذا فرق بينها وبين الخيزران، يدل على أن الأخيرة حكمت عواطفها فدفعها حبها لهارون إلى قتل الهادي.

(٣) المنتظم: المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٢٩.

(٤) ذكر المسعودي: في مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٤٨، أن غلة الخيزران كانت مائة ألف ألف وستين ألف درهم ولعل هذا فيه شئ من المبالغة. ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٤٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٩٠.

والخير<sup>(١)</sup> وفي عام ١٧٢هـ/٧٨٨م ذهبت للحج فوزعت بالمدينة أموالاً كثيرة وأعطت نفراً من قریش والأنصار جوائز خاصة وزوجت أيتاماً وقسمت على النساء أواني الذهب والفضة المملوءة بأنواع الطيب ووزعت الثياب وأعطت لكل قبيلة مالاً يوزع على أفراد القبيلة من المحتاجين<sup>(٢)</sup> كذلك كانت زبيدة أم الأمين كثيرة البذل والإنفاق في وجوه البر وخاصة في مجال سقيا الحاج وحفر آبار المياه في طريق مكة وبلغت النفقات على هذا المجال ألف ألف وسبعمائة ألف دينار<sup>(٣)</sup> وبلغت نفقات حجها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم<sup>(٤)</sup> وكان لزبيدة وكليلاً يحصى أموالها ويكتب واردات ضياعها ويعاقب من تطل يد على من أملاكها وأموالها<sup>(٥)</sup>. وإذا كان متوسط الدينار في ذلك الوقت عشرة دراهم، يبدو لنا أن المصادر تتبالغ في كثير من الأرقام، رغم أن دخل الدولة في إحدى سنوات الرشيد كان حوالي سبعون مليون دينار.

### لباس نساء الخلفاء:

لقد تفننت بنات ونساء الخلفاء العباسيين في اللباس والزينة وأحدثن فيه أموراً لم تكن موجودة قبيل العصر العباسي ومما لبسته النساء العباسيات

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٧٢.

(٢) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٩١.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣١٤.

(٤) ابن خلكان: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٥؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق،

ج ٢، ص ٢١٤.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٧٧؛ ابن الطقطقي: تاريخ الدول الإسلامية، ص ١٨٨.

القباب السوداء والمنطقة الشاشة<sup>(١)</sup> وكانت زبيدة تتزين للرشيد بالثوب من الوشى الرفيع وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس والصنديل المرصعة بالجواهر وكلايبيها من الذهب والفضة ملبسه بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق<sup>(٢)</sup> ولذا تعد زبيدة ذات أثر كبير في تطور الزي النسائي في العصر العباسي وكانت تتفق بسخاء في شراء الملابس حيث اتخذت ثوب الوشى بما يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار<sup>(٣)</sup> ومما استحدث في لباس النساء في العصر العباسي ما يسمى (ضد جبين) وهي عبارة عن عصابة مكللة بالجواهر تربط على جبين المرأة للزينة ويعزي إلى عليه بنت المهدي<sup>(٤)</sup> استحدثت هذا النوع من اللباس وكان السبب في ذلك يعود إلى أن جبهتها فيها سعة تشين وجهها فاتخذت هذه العصابة لتستر جبينها<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) صالح أحمد العلي: المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٣٥.
- (٢) صالح أحمد العلي: المرجع السابق، ص ٢٣٦.
- (٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٣٥٠؛ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م، ص ٢٧٩.
- (٤) كانت من أجمل النساء وأكملهن عقلاً وأدباً أمها حارية اسمها مكنونة تزوجت من موسى بن عيسى وكانت مشهورة بالغناء والشعر حتى فاقت في هذه الصفة. الأصفهاني: الأغاني، ج ١، ص ١٩٩؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٠١.
- (٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٩١؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٥٠.

وهناك نوع آخر من اللباس كانت نساء العباسيين يترين به وهو نوع من الثياب منسوج باللؤلؤ وعليه أنواع من الجواهر النفيسة ويسمى (البدنة الأموية)<sup>(١)</sup> وغالباً ما كان يلبس في الاحتفالات والأعراس.

### زوجات الخلفاء:

حرص الخلفاء العباسيون على الزواج من الأقارب سواء من بنات العم أو بنات الخال ومعظمهم تزوجوا من أقاربهم<sup>(٢)</sup> فالمنصور تزوج ابنة عمه حمادة بنت عيسى<sup>(٣)</sup> وتزوج المهدي باثنتين من بنات أعمامه الأولى ريطة بنت العباس السفاح والثانية أم عبد الله بنت صالح بن علي كذلك الهادي تزوج لبابة بنت جعفر<sup>(٤)</sup> وربما يكون هدف الزواج من الأقارب كسب ودهم وليكون نسلهم عباسي أصيل وفي المقابل كان من رسوم الزواج عند العباسيين منع زواج بنات العباسيين من عامة الناس أو من المولدين<sup>(٥)</sup>.

وقد يتزوج الخلفاء من قبائل وأسر غير عباسية لتحقيق أهداف سياسية واجتماعية فقد تزوج المنصور من بنى أمية<sup>(٦)</sup> وذلك لامتصاص غضب هذه الأسرة ولكسب ولائها كذلك فقد تزوج المهدي من رقية بنت عمرو العثمانية وهي من أهل المدينة<sup>(٧)</sup> للتقرب إلى أهل المدينة كما أن العثمانيين يميلون إلى

(١) مجهول: العيون والحدائق، ج٣، ص٣٦٦.

(٢) انظر الجدول رقم (٢).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٥٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٢٠٦-٢٣٩؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٥٢.

(٥) على عبد الرحمن العمرو: أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأول، الطبعة الأولى، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٣٧٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٣؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٥٠.

(٧) ابن كثير: المصدر السابق، ص٥٥٥.

بني أمية لذا كان المهدي يهدف إلى كسب ولائهم وكان زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل لتخفيف غضب هذه الأسرة بعد مقتل الفضل بن سهل والذي تشير أصابع الاتهام في مقتله إلي المأمون<sup>(١)</sup>.

وكانت بعض زوجات الخلفاء من الحرائر يشترط عليهم عدم الزواج بغيرهن أو التسري وهذا من الأمور التي لا يمكن للخلفاء الالتزام فيه إلا أن السفاح والمنصور قد قبلوا بهذا الوضع فالسفاح لم يتزوج سوى امرأة واحدة هي أم سلمة بنت يعقوب وأما المنصور فقد اشترطت عليه أروي بنت منصور الحميري ألا يتزوج عليها في حياتها وقد استمرت معه عشر سنوات ثم توفيت وبعد وفاتها تزوج المنصور من الحرائر والجواري<sup>(٢)</sup>.

وكان الخلفاء العباسيون يحرصون على إرضاء زوجاتهم بالهبات والعطايا والإقطاعات كما أن الزوجات كن حريصات على إرضائهم مثال لذلك منح الرشيد لزوجته زبيدة خراج مصر لعام كامل<sup>(٣)</sup> كما كانوا يبعثون إليهن بقصائد الشوق عندما يكونوا في سفر خارج العاصمة<sup>(٤)</sup>.

وللخلفاء العباسيين زوجات من الجواري وكان من رسوم الزواج بهن أن يعتقن قبل الزواج<sup>(٥)</sup> ولا يعد هذا شرطاً أساسياً في الزواج من الجواري

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٥٦٥، ٥٦٦.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٧٥؛ البيهقي: المحاسن والمساوي، ص ٤٤١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٣٣٦؛ محمد بك الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٨٤.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٧٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٥٣.

(٤) انظر قصيدة للمهدي في زوجته الخيزران ابن العمراني: الأتباء، ص ٧٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٠.



وللزواج منهن سلبيات عديدة منها مثلاً الغيرة والتنافس بينهن مما قد يؤدي إلى أن يكون الخليفة ضحية لهذه الغيرة وذكرت بعض الروايات أن سبب وفاة المهدي أن إحدى جواريه وضعت سماً في طعامه لجارية أخرى فأكل منه المهدي وهو لا يعلم فمات<sup>(١)</sup>. وهو ما يتناقض مع نية الخيزران لقتله كما سبق أن ذكرنا.

### ثالثاً: الجوّاري والوصيفات والمغنيات

#### الجوّاري والوصيفات والمغنيات في دار الخلافة:

كثرت الجوّاري في قصور الخلفاء والأمراء منذ عهد الدولة الأموية وقد شاع شراء الجوّاري وتهادهن وكثر فيهن أمهات الأولاد في العصر العباسي واختلف أجناس الجوّاري وتفرد كل جنس بمزايا<sup>(٢)</sup>.

واستغل النخاسون ميل الناس لاقتناء الجوّاري فأخذوا يعنون بهن عناية تزيد في قيمتهن وتضاعفها فقد كانوا يعلمونهن فنون الألب والحديث ورواية الشعر وتلاوة القرآن فإن كانت الجارية حسنة الصوت تعلمن الغناء والضرب على بعض الآلات الموسيقية.

ولقد أولع الخلفاء العباسيون باتخاذ الإماء من غير العرب لجمالهن ولسهولة التعرف على طباعهن وأخلاقهن قبل الاقتران بهن<sup>(٣)</sup> وكانت أثمانهن تتضاعف حينما يجمعن بين الجمال وحسن الصوت بالغناء وإنشاد الشعر لذا

(١) ابن الطقطقي: تاريخ الدول الإسلامية، ص ١٨١.

(٢) اشتهرت مولدات المدينة بالميل للسرور والغناء والبربريات بكثرة النسل والسودانيات بالرقص والروميات بالجمال والهنديات بالوداعة انظر المسعودي: المصدر السابق،

ج ٣، ص ٣٧٦؛ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه، ص ٢٧٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥٣٢.

فقد أنفق الخلفاء العباسيون الأموال الطائلة في شراء هذه الفئة من الجوّاري فمثلاً اشترى المهديّ جارية تدعى مكنونة بمائة ألف درهم<sup>(١)</sup> وأخرى تسمى خالصته بألف ألف درهم<sup>(٢)</sup> وقد اشترى المعتصم جاريته عرين بمائة ألف درهم<sup>(٣)</sup>. والغريب في الأمر أنه حتى المصادر اللاحقة لا تنتقد إسراف الخلفاء في هذا الأمر ولا تناقش الأرقام.

هذا ولم يكن شراء الجوّاري الوسيلة الوحيدة في جلب الجوّاري إلى قصر الخلافة إنما هناك وسائل أخرى منها الهبات التي توهب للخليفة حيث يهدي عليه أحد كبار الشخصيات والمقربون له الجوّاري الحسان تقرباً إليه فقد أهدي الفضل بين الربيع ثلاث جوّاري للرشيد<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ١٩٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٣٠.

(٢) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ١٥، ص ٢٧٩.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١١، ص ١٢٦.

(٤) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ١٦، ص ٣٧٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٣٢.

## جدول رقم (٢)

الخليفة	أسماء زوجات الخلفاء من الجرائر والجواري
أبو العباس السفاح	أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية
أبو جعفر المنصور	أروي بنت منصور - حمادة بنت عيسى - فاطمة بنت محمد - قالي الفراشة - أم ولد كردية - امرأة من بني أمية (لم يذكر اسمها)
محمد المهدي	ريطة بنت أبي العباس - الخيزران بنت عطاء - أم عبد الله بنت صالح - رقية بنت عمرو العثمانية - محياة - رحيم - حليلة - حسنة - مكنونة - طلة
موسى الهادي	أم عبد الله أمة العزيز - لبابة بنت جعفر بن المنصور - غادر
هارون الرشيد	زبيدة بنت جعفر بن المنصور - حمدونة بنت عضيض - أم عبد الله أمه العزيز - مراجل - ماردة - قصف - رثم - غصص - أم محمد بنت صالح المسكين - العباسية بنت سليمان - عزيزة بنت الخطريف - العثمانية بنت عبد الله بن محمد - نادر - شجا - سريرة - خبث - عرابة - شذرة - رواح - كتمان - غادر
محمد الأمين	أم موسى نظم - لبانة بنت المهدي (لم يدخل بها)
عبد الله المأمون	أم عيسى موسى الهادي - بوران بنت الحسن - حمدونه بنت عبد الله الهاشمي
محمد المعتصم	فاطمة (عريب)

كذلك قد تطلب الجارية من الخليفة أن يستوهبها من سيدها لتحظى بأن تكون جارية الخليفة فجارية الرشيد هيلانة كانت إحدى جواري يحيى بن خالد البرمكى (فلما دخل الرشيد منزل يحيى اعترضته فى طريقه وقالت أما لنا منك نصيب؟ فقال: وكيف السبيل إلى ذلك؟ فقالت: استوهبنى من هذا الشيخ فاستوهبها (الرشيد) من يحيى بن خالد فوهبها له وحظيت عنده) (١) وقد يعجب الخليفة بجارية فيستوهبها من صاحبها فلايسع صاحبها إلا أن يهبها لأمير المؤمنين حتى وإن كانت ذات مكانة عند صاحبها (٢).

وبهذه الوسائل كثرت أعداد الجواري فى قصر الخلافة حتى بلغ عدد الجواري فى قصر المأمون سبعة آلاف جارية (٣) ولم يكن الخلفاء العباسيون ينظرون إلى الجوارى نظرة امتهان بل أنهم كانوا يعاملونهن باحترام وقد كانت معظم أمهات الخلفاء من الجوارى وكذلك زوجاتهم ولمكانتهن عند الخلفاء كانوا يحرصون على توديعهن ويوصون كبار الخدم برعايتهن وتوفير ما يحتجنه فى غيابهم (٤) وكانت بعض الجوارى والمحظيات تعرف قدرها عند الخليفة حتى أنهم يبدين الهجر والصد للخليفة مما يدفع الخليفة إلى استرضائها بالأسعار والهدايا (٥).

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ٣٥٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٩١.

(٢) ابن الجوزى: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٨.

(٣) ابن العمرانى: الأنباء، ص ١٠١.

(٤) ابن الجوزى: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٦٧؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠،

ص ٧٢٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٣٩.

(٥) ابن العمرانى: المصدر السابق، ص ٧٨؛ الأزدى: أخبار الدول، ص ١١٨؛ ابن تغرى

بردى: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٢٦.

## مهام الجوّاري في دار الخلافة:

لا يخفى أن الوظيفة الأساسية للجوّاري في دار الخلافة هي الخدمة ورعاية شئون الخلفاء وتحقيق مطالبهم في دار الحرم وفي مجلس الخليفة أيضاً وقد تكلف بعض الجوّاري بمهام أخرى غير الخدمة فمثلاً كلفت زوجة المهدي ربيعة بنت العباس جارية لها تسمى عيبة حضور شراء الرقيق لدار الخلافة<sup>(١)</sup> وهذه المهمة تعد من المهام الإشرافية العليا في دار الخلافة كذلك قد تكلف الجوّاري بمهام سياسية منها مثلاً التجسس على كبار الشخصيات فقد وهب المهدي وزيره يعقوب بن داود إحدى جواريه وكلفها بالتجسس عليه بعد أن أمره بسجن أحد العلويين<sup>(٢)</sup> وهي مهمة غير سهلة إلا أن الخلفاء كانوا يهيئون بعض الجوّاري للمهام الصعبة.

ولم يكن الخلفاء فقط يكلفون الجوّاري بأعمال مهمة بل أن أمهات الخلفاء أحياناً كانا يكلفن جواريهن بأمر خطيرة فمن ذلك تكليف الخيزران عدد من جواريهما بقتل ابنها الهادي فجلسن على وجهه حتى مات<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على مدى السيطرة القوية لأم الخليفة علي الجوّاري التابعة لها إذ أن المهمة الصعبة والخطيرة على حياتهن من جهة وعلى حياة والده الخليفة لو كشف الأمر باعتراف إحدى الجوّاري ومع هذا نفذت المهمة دون أدنى اعتراض أو تردد.

وقد تقحم بعض الجوّاري نفسها في الوسط السياسي دون أمر من الخليفة ولا من والده الخليفة فتنتقل أخباراً محجوبة عن الخليفة وحدث ذلك من جارية

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٢٨.

(٢) انظر الخبر كاملاً ابن الطقطقي: الفخري، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٣) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٨٨؛ ابن الطقطقي: المصدر السابق، ص ١٧٣.

للمأمون عندما كان مقيماً بمدينة مرو في بداية خلافته وقد حجب عنه وزيره الفضل بن سهل أخبار الاضطرابات في بغداد وباقي الولايات الإسلامية فبعث الجارية للمأمون خلعاً من خز ووشي وكتبت في بطانتها الأخبار المحجوبة عنه<sup>(١)</sup> وكانت الجواري يلبسن المنسوج وينحن على الخليفة المتوفى<sup>(٢)</sup>. ومن خلال ما سبق نكره يمكن أن نتضح لنا أمور جديدة عن مهام الجواري في دار الخلافة في أنها ليست مقصورة على خدمة الخلفاء وزوجات الخلفاء وإنجاب الأولاد للخلفاء إنما قد يكلفن بمهام خطيرة سياسية قد تبدل الأوضاع.

### فئات الجواري:

كان استقدام الخلفاء للجواري من بلاد شتى ويرجعن في أصولهن إلى عناصر متعددة وديانات مختلفة<sup>(٣)</sup> ويمكن تقسيم فئات الجواري إلى عناصر متعددة حسب الجنس أو العنصر الذي تتحدر منه أصولهن وحسب المرتبة والقرب من الخليفة وفئاتهن حسب الجنس فمنهن الروميات والكرجيات والأرمينات والنوبيات وغير ذلك من العناصر وكان لهذه العناصر من الصفات الجسمية والعقلية ما يجعل بعضهم أغلى عن الثمن من بعض<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي: تحفة الوزراء، تحقيق سعيد أبو دية، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ١٩٩٤م، هذه الرواية فريدة ولم يطلع عليها الباحث في المصادر التي تحت يده إلا أن هذا الخبر يعكس صورة واضحة عن مدي خطورة مهام بعض الجواري وتأثيرهن في دار الخلافة العباسية.

(٢) مجهول: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨١.

(٣) كان للرشيد جارية نصرانية، انظر: Nagel, Der Muslime Zurich, 2Vols, 1981, p. 72.

(٤) عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ج ١، ص ٢١٧؛ عمر محمد سعيد: نظم بلاط العباسيين، ص ١٤٩.

## أمهات أولاد الخلفاء:

كان الخلفاء يتزوجون الجوارى من كل الفئات المذكورة سابقاً وقد أنجبوا أبنائهم منهم وتصبح الجارية التى تتجب للخليفة أم ولد وترتقى مكانتها عن باقى الجوارى فى دار الخلافة أما إذا تولى الخلافة ابن لإحداهن فإن ذلك قد يفتح لهن آفاقاً واسعة نحو النفوذ والسيطرة والتدخل فى الأمور السياسية خاصة إذا كانت شخصية تلك الجارية لديها استعداد وميل لذلك فتصبح ذات نفوذ سياسى فى عهد زوجها الخليفة ثم فى عهد ابنها وخير من يمثل هذه الفئة من الجوارى الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد حيث أن أول أمرها كانت جارية اشتراها المهدي فحظيت عنده ثم أنجبت اثنين من أبناءه تولوا الخلافة واستطاعت بنكائها وأسلوبها الخاص أن تسيطر على المهدي وبذلك فرضت تدخلها فى الشؤون السياسية وكان قصرها مقصداً لنزوي الحاجات فى الدولة<sup>(١)</sup>.

كما أن مكانتهن عند الخليفة تزيد بقدر نسبة الجمال والعقل والعلم والثقافة والمعرفة بالأشعار وحسن الصوت وبالغناء<sup>(٢)</sup> وأما التصنيف الثانى للجوارى حسب المرتبة فى دار الخلافة فيقسمن إلى عدد من المراتب وأعلى مرتبة هي القهرمانة<sup>(٣)</sup> وتعد صاحبة الأمر فى قصر الخلافة تدبر شئونه وتعطى أوامرها للجوارى بتكليف من الخليفة فتأمر الجوارى بالدخول على الخليفة وترتب

---

(١) أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، دار النهضة، بيروت، د. ت. ص ٧٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٣.

(٣) القهرمان: لفظ فارسى معناه الأمر لصاحب الحكم. الفيروز آبادى: القاموس

المحيط، ص ١٥٠٠.

صفوفهن على الشكل المطلوب منها وكان الخلفاء يختارونها ممن توفى فيها صفات السيادة والكفاءة وحسن التصرف<sup>(١)</sup>.

وتسمى أيضاً قيمة الجوارى<sup>(٢)</sup> وهذا اللقب يوضح المهمة الأساسية لهذه الجارية وتأتي في المرتبة الثانية المحظية أو الحظية<sup>(٣)</sup> وهي الجارية المقربة إلى الخليفة والتي تحظى بمحبته وقد يطلب ألا تفارقه حتى في سفره<sup>(٤)</sup> ولعلو مكانتها فإنها قد تدخل على الخليفة بدون إذن وكان الخلفاء يمدحون محظياتهم ويصفونهن بأحلى الصفات بالقصائد<sup>(٥)</sup> ويراسلوهن إذا كانوا في سفر يصفون مشاعر الشوق<sup>(٦)</sup> ولم تكن للخليفة محظية واحدة إنما قد يتعددن فمثلاً كان للرشيدي ثلاث محظيات وصفهن بقوله:

ملك الثلاث الناشئات عناني وحللن من قلبي بكل مكان<sup>(٧)</sup>

وقد يحدث بين المحظيات الغيرة الشديدة مما ينعكس على الخليفة سلباً ومن أشهر ما روي في مثل هذا المجال ما حدث من حظيتا المهدي طلة وحسنة عندما أرسلت أحدهما الطعام المسموم للأخرى فأكل منه الخليفة

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٨٠؛ محمد دياب الأتليدي: إعلان الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز سالم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢١٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٩٥؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١١٨.

(٣) الحظوة: المكانة والحظ من الرزق وحظى كل واحد من الزوجين عند صاحبة رضى. الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص ١٦٤٥.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٣٠٦؛ ابن العبري: المصدر السابق، ص ١١٢.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٤٧.

(٦) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٠٦؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٥٤.

(٧) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٥٤.



المهدي مما كان سبباً في وفاته<sup>(١)</sup> وكان هدفها الانفراد بالخليفة، هذا وقد تسمر الحظية في ولائها للخليفة حتى بعد موته فتظهر حزنها وتأثرها برحيله.

وفي المرتبة الثالثة من فئات الجوارى الوصيصة وهي الخادمة الخاصة وغالباً ما تكون صغيرة في السن<sup>(٢)</sup> ومهمتها خدمة المحظيات وقد تكون في خدمة الخليفة مباشرة وهي أدنى مرتبة من المحظية<sup>(٣)</sup> وإعدادهن كثيراً جداً قد يصل إلى المئات<sup>(٤)</sup>.

وتأتى بعد هذه الفئات فئة القينة وهي المغنية أو المطربة<sup>(٥)</sup> وكانت دار الخلافة مليئة بصور هذه القينات وأشكالهن<sup>(٦)</sup> ومهمتهن واضحة وهي إنشاد الأشعار وغنائها والضرب على الآلات الموسيقية لتسليه الخلفاء<sup>(٧)</sup> وكان الخلفاء يحرصون على تعليم جواريههم أصول الغناء الصحيح علي أيدي من برع بهذا الفن وذلك لإتقانه وليكون الخليفة بمقدوره السماع وقتما شاء<sup>(٨)</sup> ويتخذ من سماع الغناء وسيلة للهروب من التفكير في المشاكل الواقعة في الدولة فالأمين مثلاً عندما حاصر جنود المأمون بغداد لجأ إلى سماع الغناء

(١) هناك روايات أخرى عن سبب وفاته أنظر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١١٤؛ ابن

الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٨١، ٨٢؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٨٥٢.

(٢) مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب، ص ٤٤٢.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٧٨؛ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٦٠٨؛

مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٨٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٣١٦.

(٤) الأتليدي: أعلام النبلاء، ص ٢٣١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٥٤؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ١٥٨٢.

(٦) عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ج ١، ص ٢٤٣.

(٧) الأصفهاني: الأغاني، ج ٥، ص ٢٤٠-٢٩٥.

(٨) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٥٨؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٥٤.

من الجواري المغنيات في قصره<sup>(١)</sup> في محاولة منه لإجلاء الهم عن نفسه لكنه لم يفلح لأن سماع الغناء لا يزيل الهم بل قد يزيده كما أن بعض الخلفاء كانوا يتخذون من الغناء وسيلة للنياحة على الميت<sup>(٢)</sup>.

وكان للجواري المغنيات مكانة كبيرة لدى الخلفاء لذا كن يظهرن الادلاب على الخلفاء<sup>(٣)</sup> وكان بعض الخلفاء لعظم مكانة جاريته المغنية فإنه يظهر العلق من أن تنتقل ملكيتها لخليفة آخر فمثلاً الهادي لشغفه بجاريته المغنية غادر استدعى أخيه هارون واستحلفه بالأيمان المغلظة أن لا يتزوجها بعد موته<sup>(٤)</sup> ومن أمثلة الجواري المغنيات اللاتي امتلكن أكثر من خليفة المغنية عربي والتي فاقت شهرتها في الغناء فقد اشتراها الأمين بمائة ألف دينار ثم انتقلت إلى ملكية المأمون ثم اشتراها المعتصم من تركه أخيه المأمون<sup>(٥)</sup>.

وكانت الجواري المغنيات غالباً ما يغنين غناء خاص للخلفاء وقد يظهرن في مجالس الخلفاء ويغنين أمام الندماء<sup>(٦)</sup>.

كذلك فقد تزوج المهدي من فئة الجواري المغنيات جارية تدعي مكنونة فأنجبت له ابنته عليه والتي كانت من أجمل النساء وأكملهن عقلاً وأدباً<sup>(١)</sup> كما

---

(١) مجهول: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٨٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٣.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٠٠.

(٣) التنوحي: الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٤٩.

(٤) انظر الخبر كاملاً ابن الجوزي: المصدر السابق ج ٨، ص ١٧٣؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٥٩٠.

(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٠٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٦٠، ٢٥٠.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ج ٥، ص ٢٩٥؛ التنوحي: الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٤٩.

أن الهادي تزوج من الجارية رحيم فأنجبت له جعفر وسعوف وأنجبت له العباس<sup>(٢)</sup> هذا وقد تزوج الرشيد مراجل والتي أنجبت الخليفة المأمون والمحظية ماردة وأنجبت المعتصم والجارية قصف وأنجبت القاسم (المؤتمن)<sup>(٣)</sup> ولقد حظيت أمهات الأولاد بمكانة عظيمة عند الخلفاء ربما كانت أحياناً تفوق زوجاتهم من الحرائر العربيات وكان بعضهن يتقربن إلى الخلفاء بإهدائهم الجواري والوصيفات.

## الطواشية:

الطواشى لقب عام للخصيان من الغلمان الذين يعملون في قصر الخلافة<sup>(٤)</sup> وهم من المماليك الذين تم شرائهم للخدمة في دار الخلافة وكان عددهم كبير وقد يبلغ الآلاف<sup>(٥)</sup> ويطلق على الطواشي الذي يلزم الخليفة لقب الوصيف<sup>(٦)</sup> كما وجدت الوظيفة من الجواري كذلك قد يسمى الخادم أو الخادم الخاص وهو الذي يفضي له الخليفة بأسراره<sup>(٧)</sup> والمقصود بالتعريف هنا: هو من يخدم

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٣٠. وقد أنجب المهدي عدداً من الأولاد والبنات من أمهات أولاد. للمزيد انظر الأصفهاني: المصدر السابق، ج ١٠، ص ١١٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٧٢.

(٢) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٥، ص ٧٢.

(٣) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٨٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٥٧. انظر الجدول رقم ٢.

(٤) أصل كلمة طواشي فارسي - تركي انظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٨؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب، ص ٣٠٨.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٥٢٩.

(٦) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢١٠.

(٧) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٣٦٠.

نساء الخلفاء ويقوم في دار الحرم وهذه الفئة تسمى الطواشية الزمام دار<sup>(١)</sup> ومن واجبها غض البصر عن نساء الخليفة والنصح للخليفة وإعلامه بما يقع من مخالفات في دار الحرم ومنع أهل الفساد والريب من دخول الدار<sup>(٢)</sup>.

نود هنا فقط دراسة الطواشي الذي يقيم في دار الحرم<sup>(٣)</sup> وقد ذكر Ayalan<sup>(٤)</sup> أن دراسة ظاهرة الطواشية في العالم الإسلامي مازالت في مرحلة مبكرة ولعل ذلك يعود إلى خصوصية دار الحرم ومن يعمل فيها من الخدم يتحتم عليهم إلا يفشوا أسرارها لذا لم يسهب المؤرخون المسلمون في وصف مهامه ومكانته في قصر الخلافة على الرغم من أن الخلفاء كانوا يكلفونه بمهام خطيرة على المستوى السياسي.

وكانت وظيفة الطواشية وما وصلت إليه من نفوذ ومكانة في قصر الخلافة موجودة قبل العصر العباسي إلا أنها وصلت إلى مستويات عالية خلال هذا العصر خاصة في عهد الرشيد<sup>(٥)</sup>. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن الطواشي ميسور وياسر هما اللذين قاما بالقبض على جعفر بن يحيى البرمكي وقتله ولم يستأمن الرشيد أحد غيرهما.

---

(١) الزمام دار كلمة فارسية معناها: صاحب النساء أو المسئول عن الحريم: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب، ص ٢٢٤.

(٢) تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٩.

(٣) الأتليدي: أعلام الناس، ص ٢٠٨.

(4) D. Ayalan; Eunuch, Caliphs and Sultans, "A study of power relations", Jerusalem, 1999, p. 71.

(٥) تأسست وظيفة الطواشي على يد معاوية بن أبي سفيان. D. A., Op. Cit., p.83.

وقد تنوعت وتعددت عناصر الطواشية فمنهم الفرس والروم والزنوج والأرمن وغيرهم والخلفاء كانوا لا يتخذون طواشي من العرب مطلقاً فعندما اكتشف المنصور أن أحد طواشي دار الحرم عربي صرفه عن هذه الوظيفة وصرح بأنه لا يسمح لعربي أن يدخل دار الحرم ويقوم بخدمة نساءه<sup>(١)</sup> وقد يعود ذلك إلى أنه لا يوجد خصيان من العرب إنما هم جميعاً من بلاد العجم<sup>(٢)</sup> وذكر البيهقي<sup>(٣)</sup> أن المنصور منع الخدم من دخول دار النساء.

وكان للطواشية مكانة كبيرة في الدولة حتى أن الخلفاء كانوا يقطعونهم الأراضي في عواصمهم الجديدة مثل بغداد حيث أقطع المهدي كلاً من الطواشي جموية ونصير الوصيف وبدر قطائع في مواقع هامة في بغداد كذلك وجدت إقطاعات كثيرة في سامراء تعود ملكيتها إلى طواشي المعتصم مما يؤكد زيادة نفوذهم في الدولة كمؤسسة بارزة بدأت من داخل قصر الخلافة وهذا التنافس لم يدرس بعد<sup>(٤)</sup> في ظل قلة المعلومات في المصادر الإسلامية.

كان الطواشي في دار الحرم يكلف بأعمال خاصة بنساء الخليفة في تعاملتهن المالية والاجتماعية مع المجتمع خارج دار الخلافة وقد يسمى الطواشي وكيل السيدة إذا كان يعمل في خدمة والدة الخليفة<sup>(٥)</sup> وإذا كان مكلفاً بإيصال الرسائل من وإلى دار الحرم يسمى حرمي الرسائل<sup>(٦)</sup>.

---

(1) D. A., Op. Cit., p. 74.

(٢) وذلك لأن الخصاص منهى عنه في الدين؛ السبكي: المصدر السابق، ص ٤٠٠.

(٣) المحاسن والمساوي، ص ٦٣٥.

(4) D. A.; Eunuchs, p. 76.

(٥) ابن الطقطقي: الفخري، ص ١٧٠.

(٦) مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب، ص ١٤٢.

ويعد الطواشي مظهراً من مظاهر الترف التي اكتظت بها قصور الخلفاء  
العباسيين ذلك إلى جانب الجواري اللاتي يقمن بدور الخدمة في كافة مجالاتها  
داخل القصر ولعل الحاجة إلى الطواشي تكمن في خدمة نساء الخلفاء في  
الأمر الخاصة بهم خارج قصر الخلافة.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر :

- ١- ابن الأثير: (عز الدين علي بن محمد بن أبي بكر) (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):  
- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م.
- ٢- ابن تعزي بردي: (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):  
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٣- ابن الجوزي: (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي) (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):  
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر، ومصطفى عبد القادر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٤- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد المغربي) (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):  
- العبر وديوان المبتدأ أو الخبر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٥- ابن خلكان: (أبي العباسي شمس الدين أحمد) (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):  
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.
- ٦- ابن نحية: (أبو الخطاب عمر بن حسن بن أبي البسام) (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م):

- النبراس فى تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م.
- ٧- ابن الطقطقي: (محمد بن علي) (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م):
- الفخري فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٨٩٩م.
- تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٨- ابن عبد ربه: (شهاب الدين أحمد بن عبد ربه)
- العقد الفريد، تحقيق خليل شرف الدين، الطبعة الأولى، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٩- ابن العبري: (أبي الفرج غريغوريوس بن هارون) (ت ٦٨٥هـ/١٢٧٦م):
- تاريخ مختصر الدول، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٠- ابن العمراني: (محمد علي) (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م):
- الإنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، الطبعة الثانية، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م.
- ١١- ابن قتيبة: (أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م):
- الإمامة والسياسة، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ١٢- ابن كثير: (أبي الفداء إسماعيل بن كثير) (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
- البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللازقي، ومحمد غازي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٣- الأتليدي: (محمد دياب) (ت ١١٠٠هـ/١٦٨٨م):



- إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز سالم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٤- الأزدي: (جمال الدين أبي الحسن علي بن ظافر بن الحسين) (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م):

- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق محمد مسفر الزهراني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٨م.

١٥- الاصفهاني: (أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد) (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م):

- الأغاني، تحقيق علي مهنا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

١٦- البيهقي: (إبراهيم بن محمد) (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م):

- المحاسن والمساوي، تحقيق محمد سويد، الطبعة الثانية، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٥م.

١٧- التتوحي: (أبو علي المحسن بن علي) (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م):

- الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

١٨- الثعالبي: (أبي منصور عبد الملك بن محمد) (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

- تحفة الوزراء، تحقيق سعيد أبو دية، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ١٩٩٤م.

- لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم بنياري، وحسن كامل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

- ١٩- الجهشياري: (أبو عبد الله محمد بن عبوس) (ت: ٣٣١هـ/٩٤٢م):  
 - كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق إبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٨١م.
- ٢٠- الحميري: (محمد بن عبد المنعم) (ت ٦١٠هـ/١٢١٤م):  
 - الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢١- الخطيب البغدادي: (أبي بكر أحمد بن علي) (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):  
 - تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٢٢- الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):  
 - العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وكامل الخراط، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٢٣- السبكي: (تاج الدين عبد الوهاب بن علي) (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م):  
 - معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٦م.
- ٢٤- السيوطي: (جلال الدين) (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):  
 - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمود رياض الحلبي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٢٥- الصائبي: (أبي الحسين هلال بن المحسن) (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م):  
 - رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.

- ٢٦- الطبري: (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري) (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م):  
 - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، روائع التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٢٧- الفاسي: (تقي الدين محمد بن احمد الحسين) (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م):  
 - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمود محمد الطناحي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٢٨- القلقشندي: (أبو العباس أحمد بن على) (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):  
 - مآثر الأنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٩- مجهول:  
 - العيون والحدائق فى أخبار الحقائق، المثني، بغداد، د.ت.
- ٣٠- المسعودي: (أبو الحسن على بن الحسين) (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):  
 - مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٣١- اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر) (ت ٢٩٢هـ/٩٠٥م):  
 - تاريخ اليعقوبي، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٣٢- ياقوت: (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):  
 - معجم البلدان، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

### ثانياً: قائمة المراجع العربية:

- ١- أحمد مختار العبادي: فى التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

- ٢- أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣.
- ٣- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة عشر، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٤- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٥- سعيد عبد الفتاح عاشور، وسعد زغلول عبد الحميد وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م.
- ٦- صالح أحمد العلي: المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٧- عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول (التاريخ السياسي)، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ٨- علي عبد الرحمن العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، الطبعة الأولى، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٩- فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، الطبعة الأولى، دار الشرق، الأردن، ١٩٩٨م.
- ١٠- محمد بك الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥م.

### ثالثاً : القواميس والمعاجم :

- ١- محمد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢- عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

### رابعاً : الرسائل العلمية :

- ١- عمر محمد سعيد موعد: نظم بلاط العباسيين ورسومه فى بغداد (١٣٢-٦٥٦هـ)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٢م.

خامساً : المراجع الأجنبية :

- 1- D. Ayalan; Eunuchs, Caliphs and Sultans, "A study of power relations", Jerusalem, 1999.
- 2- E.I.2; Art, Khasi, by C.M.Fellat.  
- Art, Zobydah, by R.J.
- 3- Nagel; Der Muslime Zurich, Artemis, 2 vols, 1981.



